

" مذكراتٌ عِشْتُها بيْنَ طيات الطف، سأُدوِنُها بِحُروفٍ مُلؤها البُكاء والنحيب "

عبداللطيف خالدي


مذكرات الجراح





عبداللطيف خالدي

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م



مقدمة

لم أتخيل في يومٍ من الأيام أني سأحمل قلماً أُسَطِّرُ بِهِ حُروفاً كثيـرة تتصارع في قَلْـب الأوراق، حُروفاً تَحْمِـلُ بين طياتها آلاف المعانـي والصـور، فكنت فيما سـبق مُجرد شَـخْص هـاوٍ يناوش الحروف قليـلاً ويُلاطفها بقليل من الخواطر والهمسـات، ويبتعد كل البعـد عـن الصفحـات المليئـة بالمفـردات، ليـس ذاك ضربـاً مـن ضـروب الخوف مـن الظهور، لكن بسـبب الرهبـةً من عظمة المفردة.

فمن الجرأة أن آتي الآن لأشـمر عن ذراعي وأكتب أوراقاً تَعُـجُّ بالمفـردات والصـور التي كنت أخجل سـابقاً من رسـمها هنا.

آتـي إلى هنا، وأطلق للدموع فصاحة الكلام، فصاحتها التي كانت تنقش حروفها بِدُموعٍ على صفحات الخدود، فسأجعلها هنا

منثورةٌ على جسد الأوراق كالورود.

«مذكرات الجراح»..

هي حوادث ودمعات ليست بقريبة، مرَّ عليها ١٣٥٠ عاماً ولا زالت حاضرة بقلب الحدث، ولا زالت تملأ الأباريق بالدموع، وتبعث في النفس الخشوع، هي مذكراتٌ عتيقة رأيتها بعينٍ تُغْشيها الدموع، تَلَمسْتُها بيدي فرأيتها أمراً ملموساً لا يُرى، رأيتُها موسيقى تَرفِضُ العَزْف، مقطوعاتٍ بكائيةً في كل عامٍ، أَخَذْتُ أَتَرَنَّمُ لطربِها المفجع، ولا زال صدى أحزانها يدق ناقوس الحُزن والنحيب بقلبي كُل عام منذ ذلك العام الكئيب.

حَريٌ بنا أن نُسَمي عَامَ ٦١ للهجرة بـ«عام البكاء» أو «عام انتصار الدم»، ففي ذلك العام اختلطت الأمور: الفاسد يلعبُ دور الحاكم الإسلامي، والثائر بدين جده يُعَدُّ خارِجاً على إمام زمانه، فاضحكي يا شفاه الدهر، ابن أَكَّالَةِ الأَكْباد أميرٌ للمؤمنين، والحسين بن علي خارجٌ من أجل كرسي الحكم، اضحكي كما شئتي اضحكي!

«مذكرات الجراح»،

مشاهد ولوحات مررتُ بيها سريعاً، ورحت أدوِّنها عَجِلاً..، فاكتفيت بتدوين ما رأته عيني. فتفاصيل واقعة الطف كثيرة جدًّا..

لا تستطيع أن تحملها رواية أو مذكرة، ولِمن أراد الاستزادة فيها، فها هو التاريخ مُشرع أبوابه.. اذهبوا وابكوا مليًّا.

«مذكرات الجراح»،

مذكراتٌ عِشْتُها بيْنَ طيات الطف، سأُدوِّنُها بِحُروفٍ مُلؤها البُكاء والنحيب، فمُصابُهم أَمرٌ غَريْبٌ جدًّا، يُحفّز العقول للإبداع، والأقلام للكتابة، والأهم من ذلك يُحَفِزني للبكاء.

سأطْلِقُ فَصاحَةَ الدِموْع هُنا، وسَأرْسِمُ حُروفَ البُكاء.

مذكرات الجراح، سأدونها هُنا لمن يهمه أمرُ الثائرين.

عبداللطيف خالدي

كلمة لا بُدَ مِنها

إلى أبي،

أشـتاقُ لطفولتي جدًّا، أشتاق لطفولة كنت لا أملِكُ همًّا فيها إلَّا الأقلام والأوراق، أشـتاقُ إلى تلك الأيام التي كنت أسرِقُ فيها الدواوين الشعرية والروايات من أبي، أشتاقُ جدًّا لرؤية مدونة أبي المليئة بالحِكم والأمثال.

أشعر أني الآن أكتب بِحبْرٍ عتيق.. كان أبي يكتُبُ بِهِ خواطره.. أكتُبُ بقلمٍ كان أبي يُناغي بِهِ المفردات الغريبة، ولا زِلتُ ثَمِلاً بتلك المفردات التي نهلتُها منه، ورحتُ أُدوِّنُها في أوراقي.

إلى أمي،

لـم تزل في مخيلتي صورتها، وهي جالسـةٌ بِجَنْبِ المِذْياع تَسْـتَمِعُ لنواعٍ بِصوتِ المَرْحوم الشـيخ عبدالزهـراء الكعبي، مَنْظَرُ عُيونهـا الحمـراء وهـي تسـتقبلني، أدْخُـلُ عَليهـا وكأنـي فـي دِيْرٍ

خُصِّـصَ لإذْرافِ الدُموع، فكانت دوماً توصيني بتوجيه مشـاعري للحسين عَلَيْهِالسَّلَامُ.

كانت أمي في كُلِّ عامٍ تأتيني بثوبيَ الأسْـود، وكأنها تسـتعد لإدخالـي ميادين الحُـزن، تأتيني في كُلِّ عاشـرٍ من محُـرَّم تُقَبِّلُني أعلى رأسـي، وتوصيني بالجزع، توصيني بالبكاء، تُحرِّضني دائماً على التمسك بالشعائر الحسينية والاهتمام بها.

أذكرها بِكُلِّ عاشـرٍ مِنْ مُحَـرم، كانت تَبْتَدِئُ طُقُوسَـها معي بِتَقْبيـلِ عَيني، كُنتُ أراها دائماً عُنْصُراً مُحَفِّزاً للبُكاء، شـيءٌ يَجْعَلُ من إدرار الدموع أمراً ليس بمسـتصعب أبداً، وتقومُ بعدها بتقبيلي أعلى رأسي لغايةٍ هي في نفسها، غايةٍ أفهمُ مَغْزاها بعد أذانِ الفَجْر ليـوم العاشـر من المحرم، وتُنهي طُقُوْسَـها بالوصايـا الأخيرة قَبْلَ خُرُوجـي، اِبْكِ.. اِجْـزَعْ.. اُلْطُمْ.. واسِ الزَهْراءَ فـي قَتِيْلِها، وأَمورٍ كثيـرةٍ لا يَسَـعُ المَجالَ لِذِكْرَهـا كُلها، فرأيتها حقًّا مَرجِعاً لمشـاعر الحب والحزن.

فأنا هُنا، لا يَسَعُني إلا أَن أقولَ لكما: شكراً..

شـكراً؛ لأنكما علمتماني كيف أَعْشَـقُ الحُسَـيْنَ بأسْلُوبكما الخـاص، أُسْـلوب البُـكاء والمَشَـاعِرِ الُمرْهَفَة.. شـكراً؛ لأنكما أَوْدَعْتُما بقَلبي كُلَّ مَشاعِركم الرقيقة تجاه الحسين، شكراً؛ لأنكما أنْشـأتُماني علـى أن تتغير مشـاعري كلها حين اسـتماعي لحروف

كلمة «حسـين»،.. شـكراً لـكل قبلات الـرأس والعيـن على مدار السـنين، شـكراً لهذه القلوب البيضاء. لأَرُدَّ القَليلَ مِمَا أعطيتُماني إياه من مَشَاعِرَ وحُبٍّ للحسين، فهذا الكتاب إهِداءٌ مني لكما.



مذكرات الجراح

كل الدموع، تؤدي إلى كربلاء..

فالطريق مليء بالدموع، التي عليكَ تخطيها أولاً

لتصل إلى تِلكَ المدينة الغريبة..

لترى هناكَ كل شيء..،

سترى.. الحب والوفاء، وجسوماً مضرجةً بالدماء..

وسترى.. هنالك معاشر الأنبياء، في حالِ جزعٍ وعزاء..

لتعود بعد هذه الرحلة، وتقوم بكتابة

.. مذكرات الجراح..



فلْسَفَةُ البُكاء

كُنْتُ أَظُنُّ فيما سَبَقْ أَنْ البُكاء وَذَرْفَ الدُمُوع وتِلك الأمور شَعيرةٌ خُصِّصَت كَطِقْسٍ من طُقوسِ الوداع الأخير، لكننا نرى ونقرأ هنا شيئاً آخر، مُصابٌ مِنْ نوعٍ آخر لا شبيه له من أول الدنيا إلى آخرها، رَضيعٌ يُبْكى عليه ساعة ولادته، هنا رسول الله وابنته وحَشْدٌ كبيرٌ من الملائكة في حال نياح على رضيع بِساعَةِ ولادته.

حقًّا إني الآن على يقين تام، بأن الحسين عليه السلام قد ضَرَبَ بمصابِهِ كُلَّ العاداتِ والتقاليد المتبعة عرض الحائط، وانْفَرَدَ بشخصه وذاته عن الجميع، فسلامٌ على من بكى عليه ساعة مولده رسول الله، وناحت عليه الزهراء، وجَزَعَ له جبرائيل والحشد العظيم!

كانَ نَهارُ ذلِكَ الْيَومَ نَهاراً إعجازيًّا بِكُلِّ ما تَحْمِلُ كَلِمَةُ الإعْجازِ مِنْ معنى، كُلُّ شيءٍ يُغنّي ويَمُوجُ حَسَبَ تياره، الأرض

مُتَسَرْبِلَةٌ بِخَضْرَتِها، والملائكة تَشدو بصوتها العذب «حيَّ على حب الحسين».

سبعةُ أيامٍ بلياليها وجبرائيل عليه السلام يهبط إلى الأرض ليهنِّئ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمولد سبطه الحسين عليه السلام، فالفرحة قد غَمَرَتْهُم جميعاً، ذاك فرِحٌ لأنه ببركة مولد الحسين قد عاد لَهُ جناحه المكسور، وذاك مُسْتَبْشِرٌ لتشرُّفه برؤية نور وجه الحسين.

ولما أتى اليوم السابع، أتى حشدٌ كبيرٌ من الملائكة يتقدمهم جبرائيل إلى بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طالبين مِنْهُ رؤية الحسين، فدخل رسول الله دار ابنتهُ فاطمة فأخذ منها الحسين وهو ملفوف بقماش أبيض، فأتى لَهُ جبرائيل فقبل بين عينيه، وقال لَهُ بصوتٍ يُخفي وراءه الحسرة: بارَكَ الله فيكَ من مولود، يا صَرَيع كربلاء!، فنظر جبرائيل لوجه الحسين وبكى.. فبكت معه الملائكة ورسول الله أيضاً، وأكمل جبرائيل كلامه وقال للرسول أن يقول لابنته فاطمة عليها السلام بأن الله قد أسماه «حسيناً»، لأنه لم يكن في زمانه أحسن مِنْهُ وجهاً.

ولا يزال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بصدمته، يقول لجبرائيل مُحدقاً بِه: يا جبرائيل، تُهنيني ثم تبكي؟، فالدهشة قد أصابت الرسول، فالطفل الذي بيديه، صاحب الوجه الحسن، سيُقْتَلُ في يومٍ من الأيام، فقال له جبرائيل: نعم يا محمد، آجرك الله في مولودك

فإنه يُقتل، ولا يزال الرسـول بصدمته والملائكة كُلُّهم في سكوتٍ خاشعين لما يجري.

بانكسـار، دَخَلَ رسـول الله بَيْتَ ابْنَتِهِ فاطمـة، لا يدري ماذا يقـول، أَيَقولُ لها: إن رضيعَها سـيأتيه يوم يكون فيهِ جسـداً طريحاً تَلْعَبُ عليه خيول القوم وتُفْريه، وتَنْهَش بِحوافِرِها صدره الأبيض، وترضّ مِنْهُ شفاهاً قد أطال الرسول بِها تقبيلاً!

طُبُـوْلُ الْحُزْنِ قَدْ قُرِعَتْ، والظـلام يَلِفُ المنْزِلَ إلا نُوْرُ وَجْهِ الحُسَـين يُخْرِسُ صَوْتَ الظلام ويَشِـعُ وجْهُهُ بأنـوارٍ ملكوتية، ولا سَـبَيْلَ للْزَهْرَاء إلا إِسْـدَالَ سِـتَارِ الدُّمُوع على خَدَيْهَـا وهي تَقول: أبتـاه، مَـنْ يَقْتِلُ ولدي وثَمَـرَةَ فُؤادي؟، فيُخْبِرُها الرسـول عن قَتَلَة ابنها، فَتَشْـهَقُ وتبدأ بالبكاء على رضيْعٍ وَلَدوه السـاعة، تبكي على ورقةٍ بيضاء سيُلطخها الطغاة بالدماء.

مُنْـذُ ذلـك الوقت، والأمـور كُلها قَدْ عُكِسَـتْ، رسـول الله والمُقَرَبـون مِنْهُ يَبْكون الحسـين، يَبْكونَهُ طِفْلاً صغيراً، يَبْكونَهُ وهو على ظَهْر الرسـول، يَبْكونَهُ وهو شـاب يافع، فالحسين غَدا بِعُقُولِ الناس ذَبِيْحَ الله الأكْبَر، فَهْوَ من أَسَّـسَ دِيْناً للبُكاء، وجَعَلَ قُرآنَهُ أَنْ اِبكوني مِنَ المَهْدِ إلى اللحد!



خُذني لا أَريدُ الذَّهاب

مرت الأعوام عُجالاً، وأوراقُ شجرة آل محمد تساقطت، فهذا محمدٌ وَدَّع الدُّنيا والمؤامرات تُحاك بليلٍ لا قمر فيه ولا ضياء، ودَّع دُنياه وقلبه متقطع على فتيةٍ من بني عدنان سيذوقون الويل بعد فراقه، وتلك فاطمة وآهِ على أمرِ فاطمة، فحديثُ بابِها المحروق.. قد أَخْرَسَ كُلَّ الأصوات بليلتها الظلماء، أُمُّ أبيها خَلْفَ البابِ وبَعْلُها بِنِجادِه مجرور.. ضِلعُها مكسور وابنها مُحسنٌ ودّع الدنيا وهو مُلطخٌ بِدِماء أِمـِه فاطمة، وذاكَ علي أمير المؤمنين وكيفَ لي بوَصْفِ علي..، وَدَّعَ الدُّنيا بِصلاةٍ كانَ تسْبيحُها الدِّماء وسُجُودُها سَيْفاً حَضَنَ السُّمَّ، وذاك الحسن قد عالج الدنيا بِكَبِدٍ مسموم ونعشٍ قد رُصِّعَ بالسهام والنِّبال.

والحُسينُ عليه السلام، وحيدٌ مُطارد من جماعة الأبغياء، فَسُحقاً لقومٍ اتخذوا المُجونَ ديناً وكفروا بما أُنزل على محمد.

كانـت ليلةً اتخذ فيها القَمَرُ السـوادَ وِشـاحاً..، لَيـلٌ أليل لا عِلاقـةَ لَـهُ بِمَفْهومِ النور أبـداً، كُلُّ الجمادات مُتَرَقِّبَة ما سَـيَحْدُث، وللجِـدران دورٌ بالنياحة أيضاً..، والصمـت يَصْرَخُ بالمَكانِ هَلِعاً، ذاكَ الحسـين بـن علي عِنْدَ ضَريحِ جَدِهِ رَسـولِ الله.. يبكي بِحُرقة وكُلُّ شـيءٍ يبكي معه، فكان رسـول الله هو قِبلةُ أهل بيته، يُصلَّونَ إليه بأحزانهم وهموهم وبلواهم.

«السـلامُ عليكَ يا جداه، أنا الحسين بنُ فاطمة، فرخك وابنُ فرختِك، وسبطك الذي خلَّفتني في أمتك، فاشهد عليهم يا رسول الله أنهم خذلوني وضيعوني، ولم يحفظوني، وهذي شكواي إليك حتـى ألقاك» كان صدى مناجاة الإمـام رهيباً ومخيفاً، ضيعوني..، لم يحفظوني..، حتى ألقاك..!

كانـت هـذه اللحظـات عصيبةً جـدًّا، خُطَـطٌ تُحـاك بأروقة القصر الأموي على الحسـين، رسائلُ تروح وتأتي سريعاً بين يزيد ومعاونيه للقضاء على الحسـين قبل إشـعال ثورته، فالسُّلْطَةُ هُنا لا تَعْتَرِفُ بِمَفْهوم الإسـلام وشرائِعِه وقوانينه، لكِنْها تَحولت لمُنَظَمَةِ استخبارات كان كُلُّ أَمَلِها القَضَاءَ على ثائِرٍ مُتعلق بضريح مُؤَسِّسِ الدولة الإسلامية ورسـولها!، كانت الرسائل المبعوثة إلى المدينة كُلها تَحْمِلُ لَوناً واحِداً، لونَ السـواد بِكُلِّ تَدرجاته وفئاته،.. إن لم يُبايـع، فاقْتِلوه.. هكذا قالوهـا بِكُلِّ وقاحة وجـرأة، دُون خَوْفٍ أو

وَجَـل، أو قَليـلٍ مِنَ الاحْتِرام لهذا السـيد الهاشـمي، الذي لم تزل حَرارةُ قُبُلات رسـول الله على نَحْـرِهِ وفَمِهِ لم تَبْرُد إلى هذا الوقت وهذا الزمن، ولا تزالُ صَرْخَةُ رَسُول الله تَعُجُّ العَالـمَ عجًّا بِصَوْتِها، «حُسيْنٌ مني وأنا من حُسين»!

عَجَبـاً للجمـادات صامتةً لـم تَجْزَع، الحسـين عليه السلام يَبكي بِحُرْقة، وأحجار مسـجد الرَّسولِ تَنْظُرُه، والضَريحُ يَنْظُرُه، وأرواحُ الأنبيـاءِ المُحَلِّقين مِن فَوقِـهِ تَنْظُرُه، وحتى الهواءُ في هذه البُقْعة قد أَعْلَن الصمّت مِن هول المَوْقِف.

قَرَّرَت جُفون الحسـين حينها إطْفاءَ لَهَب الأَحْداث، فكانت تَحْسَـبُ أنها في حالِ انْغِلاقِها سَـتُوْقِفُ سَـيْلَ الدُمـوعِ الجاريات، وتَدعُ لكلاسيكية الليل وسُكونِهُ الأمر بِأكْمَلِهِ، ولَمْ تَعْلم أن الُحسَيْنَ يَمْتَلِكُ مَشاهِدَ بُكائيَةً تَغُصُّ بِقَلْبِهِ، تُلاحِقُهُ بالقيامِ وبالرُّقاد.

هذا رَسُـولُ الله وحَشْدٌ كبيرٌ من الملائكة عن يمينه وشماله، خاشعين مترنمين لِصَوْتِ زَفَرات العشق، بين الأَبِ وابنه، بين العَينِ وجفنها. وللمشـاعر هُنا قُرآن آخر، الحسين على صدر رسول الله تحكي دُمُوعُهُ ما جرى، وتُجيبه كلمات الرسول بألحان الحسرة..

«حبيبـي يا حسـين، كأنـي أراك عـن قريب مرمَّـلاً بدمائك، مذبوحـاً بأرضِ كربٍ وبـلاء من عصابةٍ من أمتـي، وأنت مع ذلك عطشـان لا تُسـقى، وظمـآن لا تُـروى، حبيبي يا حسـين، إن أمك

وأبـاك وأخاك مشـتاقون إليـك، وإن لك في الجنـان لدرجات لن تنالها إلا بالشهادة».

لا أعلـم مـاذا يـدور فـي خلجـات الحسـين مـن مشـاعر وأحاسـيس، فطلاسـم أهل الحب لا يفُكُّ رُموزَها أحد، إلا أربابُ هذا الحُب!

دعوا الأيـام تَرْكَبُ الريح مَخْزيةً وتجـري، ودعوا الحروف تتسـاقَطُ ثاكِلةً على وجه الأوراق، ودعوا التأريخ يبكي نفسـه مليًّا، فالحَقُ مُجَرَّمٌ عند العدالة البشرية، مَرَضٌ يَجِبُ القضاء عليهِ سريعاً كي لا يَسْـحَبَ البِسـاط من تَحْت أقدام السـلاطين الذين تَوشّحوا بوِشاح إمارة المؤمنين، ولحكايات الظُّلْمِ بقية.

حكاية غريب

صارَ ذِكْرُ سِـكك الكوفة يُزعِجُني، يُقْلِقُني.. يقْتُلُني، مُسـلم ابـن عقيل وحيـدٌ في مدينة المقابر، أجسـادٌ كثيرةٌ هنـا، لكنها دونَ أرواح، تَهْمِـسُ لـه وحشـة الليل بِسـكونِها صبراً يا بـن عقيل على البلوى وإلى رَبِكَ الشـكوى، فَكُلُّ شيءٍ هنا يعشق الغدر، الشمسُ والليل والهواء وكُلُّ شيءٍ في الأرجاء.

أن تكـونَ وحيـداً فـي دُنيا لا ترحـم، و من خلفك ألسُـنٌ قد شُحِذت مُنْذُ القِدم بالمَكر والخديعة والنفاق، ذلك يعني أنَ عليكَ الإيمان بمسلم بن عقيل قديس الوحدة ونبيها المغدور.

مئة وعشـرون ألف رسـالة اسـتغاثة كانت تَحْمِلُ بين طياتها الغـدر، تَنْضَـحُ حُروفُهـا مكراً، ظاهـراً «ائتنا وسـنكون لـك جُنداً مجندةً»، وباطنها الخفي «ائتنا وسكاكين الغَدْرِ لِقَتلِكَ مشحوذة»!

كانَ ابـنُ عقيـل بالمسـجد يـؤم الآلاف مـن خَلفِـهِ، بصلاة

خاشعة، هاشمية لا مثيل لها..، وسرعان ما تسرّب مرض الغدر بين الجموع المتراصة من خلفه، فعند انتهاء ابن عقيل من صلاته، لم يرَ من خلفِهِ إلا ذكرياتِ أُناسٍ كانوا بالخلف واختفوا فجأة. ساعد الله قلبكَ يا بن عقيل.

كتبُ التأريخِ تَعُجُّ بالمصاب، فالكوفَةُ غدّارة.. الكوفةُ خبيثة، غدرت بأمير المؤمنين يوماً وأعادت ذكراها مع ابن عقيل، فهو وحيدٌ بين أزقتها الضيقة، محاطٌ بعددٍ كبيرٍ من الجواسيس بعدما عاهدته الآلاف على النصرة له والثورة لقدومه.

خَجِلاً كان تُراب الكوفة يُقَبِّلُ أقدام مسلم بن عقيل مُعْتَذِراً له عما جرى، فالنفوسُ البشرية تَحمِلُ ما تحتوي في داخلها مما لا يُعينُها على الالتزام بالعهود والمواثيق التي تقطَعُها، لكني أرى الجمادات أفضل بكثير من تِلْكَ النفوسُ الزائفة التي باعت دُنياها قَبْلَ آخرتها، فالجمادات كانت تَحْمِلُ من المشاعر ما لم يَكُن لتلك النفوس نصيبٌ فيها، فلم يكن بن عقيل تائهاً لوحده، كانت كل الجماداتِ تائهة كلٌّ منها حَسَب ثُكْلِه ومُصابه.

كذلك القمر لم يشأ الظهور في تِلكَ الليلة خَجَلاً مِما جرى، فأمرُ بني كوفان جليل، فكانت الطُرُقات كالعباءة السوداء لا بياضَ فيها، إلا نورُ ذلكِ التائه الغريب، يَسْتَدِلُّ بِهِ على طريقٍ مجهول،.. فإلى أين المسير يا بنَ عقيل، والأبوابُ مُغْلَقَةٌ، والطُرق مملوءة

بعساكر ابن زياد.

أتى مسلمٌ إلى دار طوعة، تِلْكَ المرأة الجليلة القدر، عظيمة المنزلـة، وكانـت واقفةً على دِكَّـة باب دارها، فأتاها مسـلمٌ يطلب مِنهـا المـاء، مذهولـةً كانـت طوعة لمنظـر هذا الشـخص الغريب فأتـت له بالماء، فرأته يشـرب المـاء ليطفي نارين داخـل قلبه، نار الظمأ ونار الوحدة، أخـذت مِنه كأس الماء ودخلت للمنزل وعند خروجها رأت الغريب لا يزال جالسـاً عند دكـة بابها وهو مُطأطئ رأسه، فقالت له: يا عبدالله ألم تشرب، فقم عافاكَ الله إلى أهلك، فـلا يصلح لك الجلوس أمـام باب داري. كانَ هذا السـؤال بمثابة شـفرة حادة قطعت وريد ابـن عقيل، فماذا يقولُ وبِـمَ يُجيب، قال لها: يا أمة الله، ما لي في هذا المكان أهلٌ ولا عشيرة، فهل لَكِ بأجرٍ ومعروف؟، فقالت لَهُ مذهولة: يا عبدالله وما ذاك؟، فقال لها بنبرة شَـخصٍ مغدور، وحيد.. مطعون بِظهرة من آلاف الأشـخاص: أنا مسـلم بن عقيل، سفيرُ الحسـين، كذَّبني هؤلاء القوم، وأخرجوني من دياري ثم خذلوني وتركوني وحيداً.

صُدِمَـتْ طوعـةُ، أجابت عـن جميع استفسـاراتِها المكبوتة بداخلهـا لمـا أصاب هـذا القديس مـن أذى، فأدخلته بيتـاً كان في دارِها غيرَ البيت الذي تكون بِهِ لمبيتِ هذه الليلة.

كانـت ليلـةً خُصِّصَـت للعبـادة والتهجد، شَـهِدت سـجادة

مسلم ابن عقيل أرقى حالات الورع والتقوى، فالعبادة عند آل علي مختلفة جدًّا، الكون يخشع عند تلاوتهم وتهجدهم. فهم خاشعون آناء الليل بالعبادة، وليوثٌ شرسون في ساحات القِتال.

كان مسلم بن عقيل يشعر أن هذه الليلة هي الأخيرة، العبادة الأخيرة والتهجد الأخير، آخر سجدة على أرضٍ ستكون بعد ساعات قلائل مسرحاً لصراع الطهارة والكفر، صِراعٍ بين أبناء عبدالمطلب، أُمَناء الله في أرضه وسادات خلقِه، مع أبناء مَنْ اتَّخذ الطاغوت ربًّا، فعاهدوه على خيانة العهد وطمس الحقيقة، وعن طريق آل محمد امتهنوا إغواء الخليقة، فسبحان ربك عما يفعلون.

دعوهم بطغيانهم..، فخيالات الحُكْم تغزوا عقولهم، وتوهمهم بأن السيوف بكل الأحوال تستطيع أن تُخرس الأجساد الثائرة وتطمس حقيقتها، وهم لا يدركون أن لغة الجسد تفوق لغة السيوف والرماح بفصاحتها، فالأجساد الثائرة تَخْلُد في حال طعنها، على عكس السيوف التي تصدأ حال احتكاكها بدماء الطاهرين.

هُمومٌ بالصحراء

كان موكباً عظيمـاً، أزعجَ هُدوء الصحراء المقيت بضخامته وهيبتـه، مَحامِـلُ من النـور تغزوا سَبسَـباً[1] عظيمـاً لا تؤطره بداية ولا نهاية، أسـطولٌ مـن النياق تَقْبَعُ داخِلَ هَوادِجِها الرفيعة النسـاءُ العلويات، ومن حولها رِجالٌ من بني هاشم، رِجالٌ ثَمِلت سيوفهم من كثرة شَحْذِها، فأمسى سيفُهُمْ يقتل الهواء إذا هَبَّ وأزْعَجَ طِفلَةً صغيرة.

المسـيرةُ إلـى أَرض الجِراح طَويلةٌ جِـدًّا، ومَحَطاتُها لا تَنْفَدُ أبداً، وستكون بهذا الحال مخيراً بينَ أمرين، فإما أن تَموتَ بِمُبايعةٍ تَقومُ بها رغماً عَنك وقيودُ الذُلِّ في يديك، وإما أن تَدَع دِماءَك تَتْلوا آياتِ الخُلودِ على حَدِّ السيوف، وتبقى خالداً ما بقي الدهر.

نزل الحسـين عَلَيْهِ السَّلَامُ بالعديد من المطارح والقرى، فأمسـى

(١) السبسب: الصحراء بعيدة النظر.

يُلْقـي بكل واحدة منها ومضةً من النـور، تجعلها فلكاً آخرَ تغوص فيـه آلاف الحكايـا والصـور، كان أحدها محطةً لنقـل الثائرين مع الحسـين، ومحطـة أخرى حـاول أصحابُها تثبيط عزيمة الحسـين عليه السلام عـن الخروج إلـى أرض العراق، لحفظ الإسـلام والعروبة ومكانة قريش كما زعموا، ولم يعلموا أن الإسلام قد انتُهِكَ وسُحِقَ على يد أمراء الجواري والكؤوس الذين جعلوا مِن الإسـلام عباءةً تُخفـي كُل مُجونِهم، فأيّ دينٍ يُؤمر الحسـين بالمحافظة عليه وهو القائـل: إني لم أخرج أَشِـراً ولا بَطِراً، ولا ظالماً ولا مُفْسِـداً، إنما خَرَجْـتُ لِطَلَـبِ الإصْلاح في أُمَـةِ جدي، أُريْدُ أن آمُـرَ بالمَعْروفِ وأنهى عَنِ المُنْكَر، وأسيْرُ بِمَسيرةِ جدي محمد وأبي علي.

كانت إحـدى هذه المحطـات ميعـاداً للبكاء، ميعـادَ حزينٍ لليُتـم والطفولـة المجروحـة، فمنطقة -الثعلبيـة- دوَّنَهـا التاريخ بقعةً لبداية مسلسـل الجراح، فهنا رَجُلان من بني أسد أتوا يخبران الإمام الحسين بمقتل ابن عَمِهِ مسلم بن عقيل،.. هل أتاكُمُ الشعورُ يَومـاً بأن تُمْضُوا سـاعةً من الزمن وأنتم لا تستنشـقون الهواء؟، أو أنكـم تبكـون بدموع غزيرة بلا أعين؟، ذاك حالُ الحسـين بن علي حين سـماعِهِ الخبر، أخبروه أن مسـلماً قد أُقْتِيْدَ إلى قصر الإمارة، وضعـوه فـي محكمـة زائفـة، فالقاضي خبيـث يحكم علـى الأمر بسـوء الظن،.. والمدَّعى عليهِ عدوّه اللدود، وجميع الشـهود بهذا المكان هم أولئك الذين قد باعوا ضمائرهم ومزَّقوا رسائلهم التي

بعثوها للحسين لمناصرته ودهسوها أسفل أقدامِهِم، أخبراه أنهم جروا مُسلماً بالخيول، في أزقة تلك المدينة الخائنة، حكوا له عما جرى فوق سطح الإمارة، هنا صلى لِرَبِّهِ ركعتين، هنا وجَّهَ وجْهَهُ للحسين مبلغاً إياه ما جرى عليه من ظلم واضطهاد، هُنا قد قال مُوَدِّعاً: اللهم احكم بيننا وبين قومٍ غرّونا وخذلونا، من سطح هذا القصر المُظلِمِ قطعوا رأسه..، و من أعلى هذا القصر المشؤوم رموا بجسدِهِ الطاهر أرضاً، حتى تكسّرت أضلعه، وبهذه الأزقة الكئيبة جرُّوا جسدهُ بالخيول.

هنا قد بكى الحسين، فَابْكِ يا ملائكة الله واجزعي، ابْكِ يا عيون الغيوم مطراً أسود، وارْتَفَعَ صوتُ النساء بالعويل،.. لكن دعونا نتأمل قليلاً ﴿**فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ**﴾..، هل سَيُقْهَرُ يتيمٌ هنا؟، نعم تِلكَ حميدة.. ابنة مسلم بن عقيل البالغة من العمر ثلاثةَ عشرَ عاماً، تلك هي الفتاة التي عاشت في بيت الحسين وكَبرت فيه، وخالطت بناته حتى كانت لا تفارقهم، سَتُقهرُ حميدة بعد خطوات قليلة، الحسين يخطو نحوها، وهي تشعر بشيء سيفجعها بكل خطوة تأتي نحوها.

يَدُ الحسين، تِلكَ اليَدُ العظيمة التي تُغرق السماوات والأرض بحنانها الإعجازي فوق رأس حميدة، يمسح على رأسها قليلاً ويداعبها، وهي في هذه الحالة تستشعر حالة يُتم مفاجئة،

فإحســاس الطفل أرقى إحســاس بالوجود، ينظر لكل الأحاسـيس بصدقها الجميل، يفهم مغزى الابتسامة والحزن والعطف والدمعة أيضاً، فالأطفال آية للبراءة خلقها الله ليضرب بها الأمثال، وحميدة تعلمُ جيداً أنَّ هذه الطقوس تُقامُ لمن سرَقَ مِنه الدهر صدراً كانت تحـب أن ترتمي بيـن أحضانه، لمن خطف مِنه الزمـن والداً كانت تعشـق الاسـتماع لنبضات قلبه الدافئة..، وفي محاولة من حميدة لسماع كلمة (لا) من الحسين تُهدِّئ من روعها سألته: يا عم، أراك تعطـف علـيَّ عطف الأيتـام، أفأُصيبَ أبي مسـلم؟، هنـا رَقَّ قلب الحسين وجرت دمعته، جرت دمعة الحسين!.

فقـال لها بحزن وألم..: يـا بنية لا تحزني، فلئن أصيب أبوكِ فأنا أبوكِ، وبناتي أخواتك، فَعَلَتْ من هذه الطفلة صيحات الألـم..، حسرة الفراق، فأباها لن يعود، سبقها للموت سريعاً وتركها تكمل مسلسل الوحدة واليتم وحدها.

نعـم قد قهروهـا!، قهروا قلـب اليتيمة حميـدة، وكفروا بما أُنـزل مـن الله بحقها، فجعلوهـا تنثر دموعها بين رمـال الصحراء، طفلة صغيرة تسـتذكر أيامـاً جميلةً كانت تقضيهـا بجانب والدها، واليوم لا أيام جميلة ولا والد، ولله المشتكى.

هنا مدينة الأحزان

بعـد مسـيرة طويلة جدًّا، وبعـد أن تفرَق عن الحسـين جمعٌ مـن الذيـن كانـوا معـه، تفرقـوا عنه لأنـه أخبرهـم بأنهم سـائرون إلـى المـوت، فتضعضعـت بعض النفـوس خوفاً، وبقـي القليل.. أولئـك أنصـار الله، وقف الحسـين علـى أرض لها رائحـةٌ غريبة، رائحـة دمـاء.. رائحة لبكاء الأنبيـاء، فالهواءُ هنـا حزين.. وحبات الرمل يُسـمع لها صوت الأنين، بِحزنٍ سـأل الحسـين من كان معه عن اسـم هـذه الأرض، فقالوا لـه إنها كربلاء، فتذكر هنا الحسـين بحسـرة وصايا رسول الله، منذ السنين البعيدة وهو يخبره عن هذه الأرض، فقـال: إنا لله وإنا إليه لراجعون، هذا موضع كربٍ وبلاء، انزلوا؛ ها هنا محط ركابنا، ومناخ ركبنا، ومسفك دمنا، وهنا محل قبورنا..، وهنا أسترجع الحسين ذكرياته القديمة، وتذكَّر عندما أتى إلـى هذا المكان مـع أبيه علي بن أبي طالـب عليه السلام وهما متجهان إلى صفين، فغفا علي بحجر ولده الحسـن عليه السلام سـاعة، وقام من

نومه باكياً وقلقاً، وأخبرهم أنه شاهد هذا الوادي - كربلاء - بحراً من دم، والحسين غارقٌ فيه ويستغيث فلا يُغاث.

هي هذه كربلاء..، هنا محط ركاب بني هاشم، وهناك نهر يحاول ابتلاع نفسه، يحاول أن يتوارى عن الأنظار، فإذا سألتم لماذا يحاول الاختفاء، فدعوا التاريخ يُجيبكم بعد بضعة ليالٍ!

هي هذه كربلاء..، حيث كانت ترعى غنم نبي الله إسماعيل بشاطئ الفرات، فأتاه الراعي وأخبره أنها لا تشرب الماء منذ أيام، فسأل ربه، فأوحى له الله: أن اسألْ غنمك، فسألها: لم لا تشربين من هذا الماء؟، فأجابته بلسان فصيح: قد بلغنا أن ولدك الحسين سبط محمد يقتل هنا عطشاناً، فنحن لا نشرب من هذه المشرعة حزناً عليه.

هي هذه كربلاء..، التي كان يطوفها نبي الله آدم باحثاً عن حواء، فعثر بالموضع الذي قتل بِهِ الحسين فَسال الدم من رجله، فقال: إلهي ما أصابني سوء مثلما أصابني في هذه الأرض، فقال له الله: يقتل في هذه الأرض ولدك الحسين، فسال دمك موافقة لدمه.

هي هذه كربلاء..، التي مرَّ عليها نبي الله إبراهيم و هو راكب فرسه فعثر بِهِ، فشجَّ رأسه وسال دمه، فقال: يا إلهي أي شيء حدث مني؟، فنزل جبرائيل له وقال: ما حدث منك شيء، ولكن يُقتل في

هذه الأرض سبطُ خاتم الأنبياء، فسال دمك موافقة لدمه.

هـذه هـي كربـلاء..، التي أُسـري لهـا بالنبي، فـرأى مصرع الحسـين، وأخـذ يلقط مـن دماها، وعاد لأم سـلمة أشـعث أغبر، وأعطاهـا التـراب الذي بيديـه وأخبرها بأن تحتفظ بـه، فاحتفظت به بقـارورة وكان تراباً أحمرَ، وطافـت الأيام وأتى يوم عاشـوراء فتحوَّل التراب إلى دم أحمر.

هنا سـيُحقق الله الذبح العظيم، فتية مـن بني عدنان خرجوا من دارهم مُكرهين، إلى الصحراء المجهولة، سارت ضعونهم من أرض جدهـم إلى أرض يُقـال لها كربلاء..، أرضٍ جرت بِها دموع الأنبياء ونزفت فيها دماؤهم، فذاك من شُجَّ رأسه مواساةً للحسين، وذاك من بكى حسرةً عليه، وذاك لعن قاتليه، فالحسين أتى إلى هنا حقًّا.. ليحقق حلم الأنبياء.

جيوش حاربت اللّٰه

كان يحـوم في خيمته بحيرة شـديدة جدًّا، لا يعلم ماذا يفعل فأبواب الهرب كانت مغلقة أمامه، فـلِتَّوِّ وصلت له رسالة ابن زياد يأمـره بالذهاب إلى كربلاء ومقاتلة الحسـين، فظل ليلته حائراً، لا يعلم ما العمل.

ذاك عمـر بـن سـعد، الذي خرج قبل شـهر محـرم بفترة من الزمـن، قائـداً على أربعـة آلاف لمحاربة - الديلـم - الذين تغلبوا علـى حكـم الأمويين هناك، وقد كتـب له ابن زياد عهـداً له بولاية الريّ.

فأرسـل له ابن زياد رسـالةً وقال له: سِـر إلى الحسـين، فإذا فرغنا مما بيننا وبينه سرت إلى عملك.

عمـر بن سـعد يقـف بمنتصـف الطريـق، يمينه جنة تُسـمى -الحسـين-، وعن شماله نار لا تخمد أبداً.. نار أعداء الحسين،

وهـو لا يـدري أيـن يتجـه، فالبعض يحـذره من الإقـدام على هذا الأمر، والبعض الآخر يشـجعه، ذاك يحذره من المشـاركة بسـفك دم ابن فاطمة، والآخرون يذكّرونه بملك الريّ الذي يُغريه جدًّا.

حاول عمر بن سـعد أن يتهرب من هـذا الموقف، حاول أن يختلـق الأعذار وأيّ شـيء حتـى لا يذهب إلى كربـلاء، لأنه يعلم سوء عاقبة ما سيفعله، فالحسين عليه السلام هو أساس العدل، بِهِ يحكم الله على كل البرايا أعمالهم.

اليـوم.. الثالث من شـهر محـرم، وها هو عمر بن سـعد في صحراء كربلاء، مَزَّق كل أوراق أعذاره لابن زياد وفَضَّل أن يحظى بملك الـريّ، من حوله جند مجندة محملة بالعتاد والسـلاح، أتوا إلى هنا عازمين على قتل الحسين ابن فاطمة.

الأيـام بكربلاء تمر سـريعة جدًّا، وجيوش ابـن زياد تتهافت علـى هـذه البقعـة المقدسـة، آلاف تلحقهـا آلاف، والروايـات التاريخية تُصرّح بأقل عدد كان ثلاثين ألف مقاتل، آلاف السـيوف المشـحوذة منـذ استشـهاد رسـول الله حتى هـذا اليوم تنـوي قتل الحسين بن علي.

بعث ابن سـعد رُسُـله إلى الحسـين، رَسـولٌ يتبعه رسـول، ليسـأله: ما الذي جاء بِـكَ إلى هذا الموضع؟، وكل شـيء يحاول الإجابة بدَل الحسين: الأرض والسماء.. ووِشاحُ الحزن في صدر

السماء، وحتى الدموع في بطن الغيوم كانت تبعث نغمات حزينة حال ارتطامها بالأرض لتحكي هذا السر العظيم، فالحسين أتى إلى طور كربلاء ليناجي الله بدمائه الزاكية، أتى ليدوِّن للتاريخ سُوَراً قَلَّ نظيرها، سُوراً من الوفاء، و معانات الأنبياء،.. سُوراً لبلاء النبلاء، ولشيبة ستُحنَّى بعد أيامٍ بالدماء..، أتى إلى كربلاء!

وعن الإمام الصادق إنه قال: «دخل الحسين -يوماً- على أخيه الحسن فلما نظر إليه بكى، فقال الحسن: ما يُبكيكَ يا أبا عبدالله؟

-قال: أبكي لما يُصنع بك.

فقال الحسن: أنا الذي يُؤتى إليّ بسمٍّ فأقتل به. ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبدالله، يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل، يدّعون أنهم من أمة جدك محمد وينتحلون دين الإسلام، فيجتمعون على قتلك وسفك دمك وانتهاك حرمك وسبي ذراريك..».

ذلك هو الحسين، من أبكى ملائكة الله وأنبياءه..، ذلك هو الحسين.. من ناحت عليه الجن والإنس..و الوحش والطير وسائر المخلوقات لعظم رزيته وجليل مصابه.

هو الحسين..، ذلك المصحف المخضب بالدماء،

هو الحسين..، آياتُ حزنٍ رتلتها كربلاء،

هو الحسين..، توراة موسى بالعزاء، إنجيل عيسى بالبكاء

قرآن طه والذي قال: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾..

أيّ الحسين..، ذبيحُ أصحاب الكساء!

نواعي كربلاء، الأولى

جلس الحسين عليه السلام، وحيداً فريداً وعليهِ آثار الألم، ذاك الحسين.. نفس محمد.. روح علي.. عينُ فاطمة.. ظلامة الحسن.. قلب زينب!، غريباً وجيوش الأعداء تملأ من حوله الأرض، قاصدةً له تنوي قتله، و تدمع عيناه ويزفر زفرة المهمومين وينشد:

يا دهر أُفٍ لكَ من خليل   كم لك بالإشراق والأصيل

من طالبٍ وصاحبٍ قتيل   والدهرُ لا يقنع بالبديل

وكل حيٍّ سالك سبيلي   ما أقرب الوعد من الرحيل

وإنما الأمر إلى الجليل

كانت من خلفهِ زينب، صاحبة القلب الجريح، وأميرة الدموع الحزينة، تلك زينب من ورثت صبر جدها.. ودموع أمها.. وجرح أبيها.. وآهات أخيها، واقفة خلف الحسين..، مذهولة لما

سمعت، مرعوبة ممَّا سيجري..، فقالت له:

- يا أخي، هذا كلام من أيقن بالقتل!

- نعم يا أختاه.

- واثكلاه، ينعى الحسين إليّ نفسه!

فَعَلَتْ من النسوة الصيحات، فتلك لاطمة خدَّها.. وتلك شقَّت جيبَها، والأطفال يبكون بحسرة..، وأتت زينب.. آهٍ على قلب زينب، ناعيةً الحسين: يا ويلتاه افتغتصب نفسك اغتصاباً، فذلك أقرح عيني، وأشد على نفسي..، هنا وقعت زينب مغشيًّا عليها، فقام لها الحسين وصبَّ عليها الماء حتى أفاقت وعزَّاها بنفسه.

وتلك أم كلثوم صرخت ثاكلة ونادت:

- وامحمداه.. واعلياه.. واأماه.. واأخاه.. واحسينا.. واضيعتاه بعدك يا أبا عبدالله!

فقام لها الحسين وعزَّاها وسكَّن من روعها ونحيبها، وراح يوصيها: يا أختاه تعزِّي بعزاء الله، واعلمي أن أهل الأرض يموتون، وأن أهل السماء لا يبقون، وأن كل شيء هالك إلا وجه الله تعالى.. وقال لهم: انظرن إذا أنا قُتِلْتُ.. فلا تَشْقِقْنَ عليَّ جيباً ولا تَخْمِشْنَ عليَّ وجهاً ولا تَدْعِيْنَ عليَّ بالويل والثبور.

ولـو رأينا وصايا الحسـين لأخواتـه وبناته.. فسـنراها زمنيةً بحـت، مخصوصـةً لسـاعة مصرعـه، وذاك لا يعنـي أبـدا أنه منع عليهـم العـزاء، فمصاب الحسـين قد أبكى الحسـين ذاتـه وجعله يرثي نفسـه، وقد توارثنا البكاء على مصاب الحسين والحزن عليه من رسـول الله وأهل بيتـه الأطهار، فمنهم اسـتقينا مفاهيم الجزع على الحسين.



ماء الخلود الأبدي

كانـت الرسـائل القادمة من ابن زياد إلى عمر بن سـعد كلُّها تحثـه على القضاء على الحسـين، تدعوه بحزم إلى سـرعة إخماد صوتِهِ وثورتِهِ الطاهرة.. ثورةِ الحقِّ والعدالةِ المحمديَّة.

كان ابـن زيـاد يحاول بكل الطـرق أن يقتل عزيمة الحسـين سريعاً، وفي اليوم السابع من المحرم..، بعث ابن زياد رسالة لعمر ابن سعد، رسالةً مباشرة قال فيها:

- «أمـا بعـد، فَحُلْ بين الحسـين وأصحابه وبيـن الماء، ولا يذوقوا منه قطرة..».

كانت رسـالته بشـعةً جدًّا..، تشـمئز عند قراءتها النفوس..، فالحـرب مع هؤلاء البشـر لا تتسـم بالرحمة أبـداً، فبعث في ذلك الوقـت عمـر بـن سـعد كتيبـة بخمسـمائة فـارس..، وحالـوا بين الحسـين وأصحابه وبيـن الشـريعة..، وكان عبدالله بـن الحصين

أحـد مجرمي جيش ابن زياد يحوم حول خيام الحسـين ويخاطب الإمام بوقاحة:

- يا حسـين، أَلَا تنظر إلى الماء كأنه كبد السـماء..، والله لا تذوق منه قطرة.

فرفع الإمام يديه ودعا بحسرة:

- اللهم اقتله عطشاً..، ولا تغفر له أبداً!

ويـروى أن عبدالله بـن الحصين بعد معركة الطف قد أصابه مـرض العُطَاش، فكان كلما يشـرب لا يرتوي أبـداً، وكان يصيح: العطش قد قتلني.. إلى أن مات!

مرت الأيام ببطء شديد، وأفئدة آل المصطفى تشكو الظمأ..، ملتهبة قلوبهم بنار العطش المسـتعرة، حتى أوشكوا على الهلاك..، فلما أضر ذلك بهم أخذ الحسين فأساً وجاء وراء خيمة النساء وراح يحفر هناك، فانبعت عيونٌ من الماء..، فشرب منه الحسين.. وشرب أهل بيته وأصحابه وارتوت أطفاله..، ثم غارت هذه العين ولم يُرَ لها أثر بعد ذلك، فبلغ ابن زياد ما جرى.. فبعث برسـالة لعمر بن سـعد يقول بها: بلغني أن الحسين يحفر الآبار ويصيب الماء، فيشرب هو وأصحابـه، فانظـر إذا ورد عليك كتابي هـذا فامنعهم من حفر الآبار ما اسـتطعت وضيِّـق عليهم، ولا تدعهم أن يذوقـوا من الماء قطرة.

فضيَّقوا بعد ذلك على الحسين أشدَّ تضييق.

وارتفعت صرخات أصحاب الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ بوجه ابن سعد غاضبة، مستنكرين هذه الأفعال تجاه الحسين وآل بيته وأصحابه..، مدهوشين لما يجري على الحسين من ظلم وتضييق واغتصاب لحقوقه، فأتى له يزيد بن الحصين وقال:

- هذا الفرات..، تشرب منه الكلاب وهذا الحسين وأهل بيته عطاشى!

فلحقت صرخته.. صرخة برير قائلاً:

- أتترك بيت النبوة يموتون عطشاً، وحِلْتَ بينهم وبين الفرات أن يشربوا منه..، وتزعم أنك تعرف الله ورسوله!

فأجابهم ابن سعد بوقاحة:

- إني والله أعلم يا برير أنَّ قاتلهم في النار، ولكن تشير عليَّ أن أترك ولاية الري فتصير إلى غيري، ما أجد نفسي تجيبني إلى ذلك أبداً!

حقًّا إن شَرَّ المبكياتِ مُضحكاتُها..، منعوا الحسين وآله من الماء ظنًّا منهم بأنه سَيَضْعُفُ أمامَهم وسيخضع..، و لم يعلموا أن الحسين هو ماء الخلود الأبدي..، وما ماؤهم إلَّا سراب وَوَهْمٌ امتحنهم اللهُ به.



سواد الليل يبكي

اليوم التاسع من المحرم، وجيوش الشيطان تتوافد على كربلاء بغزارة شديدة، جيوش من الشام تأتي.. ومن الكوفة أيضاً، قاصدين استضعاف الحسين عليه السلام وقتله.

دخل رجل على ابن سعد وأخبره بأن ابن زياد قد بعث شمر ابن ذي الجوشن على أربعة آلاف فارس ليرى إن كُنتَ متوقفاً عن القتال أن يضرب عنقك ويأخذ مكانك، فاستعجل عمر بن سعد حربَ الحسين.. فراح ينادي:

- يا خيلَ اللهِ اركبي..، وبالجنة فابشري!

فعلا صوتُ الصهيل على مسامع الهواء..، وعلت الغبرة لتُشكِّل لنا لوحةً من مآسي الطف.

الخيول تأتي مسرعة، والحسين محتبياً سَيْفَهُ.. فخفق برأسه على ركبته، فدنت منه زينب.. مدهوشة من هذه الصيحات، فقالت:

يا أخي.. أما تسمع هذه الأصوات قد اقتربت، فرفع الحسين رأسه وقال: إني رأيت الساعة جدِّي محمداً وأبي عليًّا وأمي فاطمة وأخي الحسن وهم يقولون: إنك رائح إلينا عن قريب..، فَلَطَمَتْ زينبُ وجهها.. فليتَ الأرض قد ساخت بما فيها!

فأتى العباس إلى الحسين وأخبره عن القوم، فقال له الحسين: يا عباس اركب بنفسي يا أخي حتى تلقاهم وتقول لهم: ما لكم وما بدا لكم؟، فقام لهم العباس وسألهم فأجابوا: قد جاء أمر الأمير أن تنزلوا على حكمه أو نُنَاجِزُكُم..، فاستمهلهم العباس وعاد للحسين يسأله..، فأخبره الحسين عليه السلام أن يستمهلهم سواد هذه الليلة..، فأمهلوا الحسين هذه الليلة.

كان دوي عبادتهم كدوي النحل، يقضون ليلتهم بخشوع..، حولهم تعدوا عساكر بني زياد.. جنود الشيطان تطوّق رقابهم حبال المكر والخداع..، غدت كربلاء في ذاك المساء.. كالجنة في وادي الذئاب، وغدت خيام آل المصطفى في تلك الليلة كعبة تطوف حولها الشياطين.

دعوا الليل يرحل بهدوء..، ودعوا أبجدية الدموع تنطق حروفها الأخيرة، فبعد قليل.. ستخلع كربلاء وشاحها الأبيض وتستبدله بثوب الجراح.

عهدُ العاشقين يتجدد

ذكرياتُ الليلِ مؤرقةٌ جدًّا،نبحثُ وسطَ الظلام عن السكينة ولا نجدها أبداً، ولكننا نبقى على أملٍ.. بِصُبحٍ جديد، يحمل الكثير من الابتسامات التي تُنسينا الذكريات..، إلا زينب..، ذكرياتُها لا تنضب، كُلُّ شيء في حياتها ذكريات، ماضيها ذكريات..، حاضرها ذكريات..، وخيالاتها ذكريات مؤلمة.

خرجت ليلة العاشر من المحرم، تتعثر بخيالاتِها المُخيفة، تتأملُ بعينيها صحراء مخيفة، تنظرُ تحت كل حبة رمل.. ألف دمعة، أتت جنب الخيام..، فدنت من خيمة أخيها أبي الفضل العباس..، فشعور الأمان هناك لا يُوصف أبداً.. الأمانُ بِجنب كافلها وحامي خدرها، فسمعته يخاطب الهاشمين قائلاً:

- إخوتي وبني إخوتي وأبناء عمومتي، إذا كان الصباح فما تصنعون؟

فهبوا له جميعاً:

- الأمرُ إليك.

- إن أصحابنا وأنصارنا قومٌ غرباء، والحمل ثقيل.. لا يقوم بِهِ إلا أهله، فإذا كان الصباح كنتُ أولَ من يبرز للقتال، فنسبق أنصارنا إلى الموت.. لئلَّا يقولوا: قدَّموا أصحابهم، فلما قُتلوا عالجوا الموت بأسيافهم.

- نحن على ما أنت عليه!

فَرِحت زينب لهذا المقال، وعرَّجت بعدها إلى خيمة الأنصار لترى الأجواء هُناك.. فدنت منها.. فسمِعت حبيب بن مظاهر يخاطبهم:

- يا أصحابي.. إذا كان الصباح ماذا تفعلون؟

- الأمر إليك.

- إذا صار الصباح، كنا أول من يبرز إلى القتال.. نسبِقُ بني هاشم إلى الموت، فلا نرى هاشميًّا مُضرجاً بدمه، لئلَّا يقول الناس قدَّموا ساداتهم للموت، وبخلنا عليهم بأنفسنا.

- نحن على ما أنت عليه!

الفرحة تغمر قلب زينب..، الجميع من حولها يتسابق

للمـوت في سـبيل الحق..، وكأنهم في سِـباق المـوت، والجميع يهـرول له مُسـرعاً..، لكن زينب عَلَيْهَا السَّلَام قد خنقتها العبرة من شـدة الموقـف.. فتأرجحـت بيـن ابتسـامة أمـان.. ودمعة خَـوف، وإذا بالحسين قد أتى.. وأوقفها..، وسألها:

– يـا أختـاه، منذ رحلنـا من المدينة مـا رأيتُكِ مبتسـمة، فما سبب تَبَسُّمكِ؟

– يا أخي، رأيتُ من فِعْلِ بني هاشم والأصحاب كذا وكذا.

فتبسَّم الحسين بوجهها، وقال:

– يـا أُختاه.. اعلمي أنّ هؤلاء أصحابي من عالم الذَّر، وبِهم وعدني جدي رسولُ الله!

سـتبقى الثـورةُ على مـرِّ الزمن مُـرةً لا تُطـاق رُغـمَ أهدافها السـامية..، وسـيبقى الثائر خِنجراً يؤلـم خاصرة المنافقين على مرِّ السـنين رُغم اضطهاده وقتله..، فهذه ثورة الحسين..، ثورة عشقها الأنبيـاء..، ثـورةٌ أيدهـا الله بالنصـر، فغـدا كُلُّ شـخصٍ يعتَنِقُها.. تعويـذةً يَصعُـبُ فكُّها وطمسـها..، وغدت ثورةُ الحسـين قُرآناً لا يُحرَّف.. ومجداً لا يُزيَّف.

يوم الواقعة بدأ

إنـي أكـرهُ أن أبدأهـم بالقتال..، ثـورة أطلقها الحسـين يوم العاشـر مـن المحرم، صرخـة مدويـة.. أرعبت الجميـع.. طَعَنتْ بِكُفْرِهـم ألـفَ رُمـح، فهاهو الحسـين.. يوم العاشـر مـن المحرم مُحاصـر من جيـوش ابن زيـاد.. ثلاثون ألفـاً يزحفون له، وشَـبَحُ الموت يُنذر باقتراب ميعاد النهاية.

عمر بن سـعد يصرخ بالميدان: اشـهدوا لي عند الأمير، أني أول من رمى. وتهافتت زخَّات السهام على مخيم الحسين شديدةً كالمطر..، فلم يبقَ من الأصحاب أحدٌ إلا أصابته سهامهم.

عندها قال لهم الحسين: قوموا -رحمكم الله- إلى الموت الـذي لا بد مِنه، فإن هذه السِّـهام رُسُـل القـومِ إليكـم..، فَبرز من الأنصار خمسـون رجلاً..، يخـاف المـوت أن يُلاقِيَهُم.. وتخاف الهيجـاء ثورتَهـم إذا ثـاروا، رجـالٌ عاهـدوا وصدقـوا.. عاهـدوا

الحسين على الموت ولا شيء غير الموت، فلولا اشتياقهم للموت لما استطاعت رماح القوم أن تطعنهم، فخروا على الأرض صرعى وسيوفهم تشخب من دماء القوم.

فذاك جون مولى أبي ذر الغفاري.. ذلك العبد الأسود، أتى للحسين يستأذنه في القتال، فقال له الحسين: أنتَ في إذن مني.. إنما تبعتنا طلباً للعافية، فلا تَبْتَلِ بطريقنا. فوقع جون على قدمي الحسين وراح يقبلهما ويبكي: يا بن رسول الله، أنا في الرخاء ألحسُ قِصَاعَكم.. وفي الشدة أخذلكم؟، إنَّ ريحي لَنَتِنٌ وإنَّ حَسَبِي لَلَئِيْمٌ، وإن لوني لأَسْوَدُ فَتَنَفَّسْ عليَّ بالجنة ليطيب ريحي.. وَيَشْرُفَ حسبي.. ويَبْيَضَّ لوني، والله لا أفارقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم. فراح جون يقاتلهم حتى قُتِلَ، فوقف عليه الحسين وقال: اللهم بَيِّضْ وجهه، وطيِّب ريحه، واحشره مع الأبرار.. وعَرِّفْ بينه وبين آل محمد. ويُحكى عمّن حضر لدفن القتلى مع الإمام السجاد أنهم وجدوا جوناً تفوح منه رائحةٌ أطيب من رائحة المسك.

ذاك مسلم بن عوسجة، متوسد التراب.. بعدما كَثُرَتْ جراحُه، أتى له الحسين عليه السلام مع حبيب بن مظاهر، فدنا مِنه حبيب وقال له: عَزَّ عليَّ مصرعُك يا مسلم.. أبشر بالجنة، فأجابه بصوتٍ ضعيف: بشـرَّك الله بالخير، فقال له حبيب: لولا أعلم أني لاحق

بِـكَ بالأثـر.. لأحببـت أن تُوْصِيَنِي بكل مـا أَهَمَّـك، فحينها أجابه مسـلم وقد هدأت روعته: أوصيك بهذا -وأشار إلى الحسين- أن تموت دونه!

وذاك عمرو بن جنادة.. الغلام الذي لم يبلغ العاشرة سِنًّا، قُتِلَ أبوه قبـل قليل بالمعركة، أتت له أمه وألبسـته لامة الحرب وقالت لـه: يا بُنـي، أُخْرُجْ وقاتلْ بيـن يدي ابن بنت رسـول الله..، فخرج الغلام وذهب للحسـين يسـتأذنه القتالَ.. فأبى الحسين أن يأذن له وقـال: هذا غلامٌ قُتِـلَ أبوه بالمعركـة، ولعلّ أُمَّهُ تكـره خروجَه..، فقـال الغـلام: إن أمي هي التي أمرتني بذلـك. فخرج الغلام للقوم صارخاً:

أميـري حسـينٌ ونعـم الأميـر
سـرورُ فـؤادي البشـير النذيـر
علـيٌ وفـاطـمـةٌ والـداهُ
فـهـل تـعـلمـون لـه مـن نظيـر

فقاتل الغلام حتى قتلوه.. واحتزوا رأسه ورموه جهة معسكر الحسـين عليه السلام، فأخـذت والدته رأسـه.. وراحت تمسـح التراب والـدم عن عينيه وتقول: أحسـنت يا بُني.. يا سـرور قلبـي ويا قُرَّةَ عيني.

وذاك حبيـب بـن مظاهر، قديـسُ أصحاب الحسـين عليه السلام

وأعلاهم منزلة عنده ومرتبة.. احتزوا رأسه وعلَّقُوه بمقدمة الفرس وصاروا يطوفون بِه بالميدان، والحسين ينعاه بألم: لله درك يا حبيب، لقد كنت فاضلاً تختم القرآن في ليلة واحدة.

عاجزةً تبقى الحروفُ أمام مُصحف أنصار الحسين، فهم خَلَقوا لبطولاتِهم أبجديةً أخرى يصعبُ عليَّ إتقانها.. فَهم خيرُ أمةٍ أُخرِجت للناس، ويكفيهم فخراً أنهم أصحاب الحسين وكفى.

الصلاةُ الأخيرة

أجواءُ المعركة في تصاعُدٍ مستمر..، السيوفُ تتعانقُ بلهفة العاشقين.. والأجساد تُقَبِّلُ الثرى بِشوق الملهوف الغريب، وجعجعةُ الخيل تُضفي لهذه الأجواء لمسةً من الموت، والملائكة تصرخُ بالسماء بِحِدَّة: اُقْتُلُوْهُم.. دونَ ابن المرتضى.. اُقْتُلُوْهُم.. كونوا كبركانٍ غاضبٍ يُشْعِلُ الدنيا وما فيها.

كانت أرض المعركة أشْبَهُ بشلَّالٍ من الدماء.. الأرض مزدحمةٌ هنا بالأجساد، لا توجدُ بقعةٌ تَحْتَمِلُ قتلى آخرين.. والأرض تصرخُ بشراهة: هل من مزيد؟

كانت دِماءُ أنصار الحسين إعجازية.. لا تُدْرَكُ بالأبصارِ أبداً.. كانت تَرْوِي الأرض بماء الحياة، لتجعلها تُثْمِرُ أجساداً ثائرةً من جديد.

الوقتُ شارَفَ على الزوال.. والشَمْسُ تُؤْذِنُ بالصلاة

الأخيرة.. صلاة الوداع، فقام الحسين عليه السلام ليُصَلِّي صلاةَ الخائف.. بوسَطِ ميدان يَعُجُّ بالجنود، وبعض أنصاره يقفون أمامه يحمونه شرَّ السِّهام القادمة، الله أكبر.. وانهالت نِبالُ القوم كالمطر.. وأنصار الحسين يتسابقون لصدِّها بصُدورِهم ونُحورِهم، الله أكبر.. والدُّنيا تُقدِّسُهم.. والأرضُ تحكي أسطورة حُبٍّ بين رجالٍ عاهدوا الله على الموتِ في سبيل الحب.. وبين ثائرٍ غريبٍ.. يُقيمُ صلاتَهُ الأخيرة.. على أرضٍ مقدسةٍ يقال لها كربلاء.

أولُ جرح

أرخى الحسين عينيه وبكى، وراح يرمق الصحراء بنظرة اليائس وهو يشاهد ابنه الأكبر يخوض بالميدان..، حينها رفع الحسين سَبَّابته إلى السماء وراح يقول بحسرة:

- اللهم اشهد على هؤلاء القوم.. فقد برز إليهم غلامٌ أشبه الناس خَلْقاً وخُلُقاً برسولك، وكنا إذا اشتقنا إلى نبيك.. نظرنا إلى وجهه.

ذاك علي بن الحسين الأكبر، حفيدُ النبي وغطريف بني هاشم، آيةٌ عَجَز المفسرون عن تأويلها، فكان مِرآةً لِشخصِ النبي المصطفى.

خرج الأكبر بظهر العاشر من المحرم.. صائحاً بالقوم:

أنا علي بن الحسين بن علي
نحن وبيت الله أولى بالنبي

أطعنكُم بالرمح حتى ينثني
أضرِبُكُم بالسيف أحمي عن أبي
ضربَ غُلام هاشميٍّ علوي
واللّه لا يحكم فينا ابن الدَّعي

فراح الأكبرُ يطعن الأجساد بِعُجالة الثُّوَّار، ويُمزِّقها بسيفه حتى احتار فيه القوم، رسول الله أم حيدر.. بوادي الطفِ أم خيبر؟، وراح التاريخ يحكي ما جرى بدهشة: هنا قَتَلَهم.. هنا سحقهم.. هنا دارت رحات الكون بسيف الأكبر!

عاد الأكبر من الحرب يشكو العطش..يشكو الجراح، فقال للحسين:

- يا أبه، العطش قد قتلني.. وثِقْلُ الحديد قد أجهدني.. فهل إلى شربة ماءٍ أتقوى بها على الأعداء.

جراح الحسين كثيرةٌ.. لا سبيل لأحصائها أبداً.. وآخر الجراح استغاثة ابنه.. وكانت أشدَّها.. فأجابه الحسين باكياً:

- وا غوثاه.. من أين آتي لك بالماء، قاتلْ قليلاً.. فما أسرع ما تُلاقي جَدَّك رسولَ الله، فيسقيك بكأسه الأوفى شربةً لا تظمأ بعدها أبداً.

فأتى له الحسين مرةً أخرى.. ووضع لسانه على لسان ابنه..

فدُهِـشَ الأكبر عندما وجد لسـان أبيه جافًّا كقطعة الخشـب، فبرز الأكبـر مـرة أخرى للقتـال.. وراح يقتـل فيهم بالرغم من عطشـه، حتى حاوطه القوم وراحوا يطعنونه بمختلف الجهات، وأتاه سهم وقـع في حلقه، فركب الأكبر فرسـه.. فسـال دم الأكبـر على عيني الفرس.. فراح جهة معسـكر الأعداء، فراحـوا يقطعونه إرباً إربا.. فسقط على الأرض وراح ينادي:

- يـا أبتـاه.. عليك مني السـلام، هـذا جدي رسـول الله قد سـقاني بكأسـه الأوفى.. شـربةً لا أظمـأ بعدها أبـداً، ويقول لك: العَجَلَ العَجَل، فإن لك كأساً مذخورةً حتى تشربها الساعة.

حالـة الحسـين في تلـك اللحظـات لا توصف أبـداً..، راح يتنفَّـسُ الصُّعَدَاء وراح يبكي ويصـرخ: وا ولداه.. حتى تصارخت النسـوة، فراح الحسـين يُهَـرْوِلُ إلى مصرع ابنه الأكبـر وهو ينادي بحسرة: ولدي علي.. ولدي علي!

كان التـراب تحت علي الأكبـر يضج بالبكاء.. يُنادي بالويل والثبور لقومٍ قتلوا شبيه رسول الله..، حينها أتى له الحسين وسقط عليـه من فرسـه.. راح يمسـح التـراب والدم مـن عينيـه.. يُقبِّله.. يَشَـمُّهُ، فغدا الحسين كالمحتضر.. يتنفَّسُ الصُّعَدَاء وكادت روحه أن تخـرج.. وراح يقول: على الدنيا بعـدك العفى يا بُني.. أما أنت فقد اسـترحتَ من الدنيا وضيمها، وقد صرتَ إلى رَوْحٍ وريحان..

وَبَقِيَ أبوك، وما أسرعَ لحوقِهِ بك.

التفت الحسين إلى فتيانه من بني هاشم وقال: احملوا أخاكم.. فحملوه إلى خيمته.

رسائلُ الخير دائماً ما تكون مضطهدة.. مخفية عن أعين الظُّلَّام، تجوبُ سِككَ المظلومين وتُحاول أن تخبرَهم أن النور مُخْتَبِئٌ خلفَهم.. فلا تخافوا ولا تجزعوا، إلَّا علي الأكبر.. رسول الخير وثائر آل محمد، حمل بيده رسائل من النور مرصعةً بالدم.. كان بوسط الميدان يَصْرُخُ دونَ خوف أو وجل.. إنه الحق المبين.. إنه حفيد علي بفصاحته.. حفيدُ فاطمة بشجاعتها، وقف وسطَ الميدان بثقةٍ تامَّةٍ وقال: والله لا يحكم فينا ابن الدعي، ويدُ التاريخ تُخرِسُ كل الأفواه عندما نحكي رسائل علي الأكبر.

وحيد

وحيدٌ بَقِيَ الحسين بصحراء كربلاء مكسور الظهر، يرى أنصاره من حولِهِ قتلى..، يُناغيهم ولا يُجيبونه.. يحادثهم بحزنٍ ولا يسمعونه، آل بيته على البوغاء صرعى مجزرةٌ أجسادهم.. مقطعة أعضاؤهم، قبل قليل كانت تَحُفُّهُ الأنصار.. والآن.. توشَّحوا جميعهم عباءةَ الموت.

فراح الحسين يطوف حول أجسادهم.. يناديهم:

- يا حبيب.. يا مسلم.. يا زهير، يا أبطال الصفا ويا فرسان الهيجاء، ما لي أناديكم فلا تسمعون وأدعوكم فلا تجيبون!

وكأني بأجساد الأنصار قد اهتزَّتْ ثائرةً، أعضاؤهم تصرخ بالثأر للحسين..، وكأن أَيَادِيَهُم اشتاقت لحمل السيوف من جديد.

من الصعب جدًّا أن تبقى وحيداً بصحراء مليئة بالذئاب..

لا تعرف من الدين إلا عبادة رغباتها وشيطانها، لكن الأصعب من هذا حقًّا هو صراخ أطفال الحسين ونسائه.. خائفين.. يسمعون الحسين ينادي:

- هل من ذابٍّ عن حُرَمِ رسول الله؟ هل من موحِّدٍ يخاف الله فينا؟ هل من مغيثٍ يرجو الله في إغاثتِنا؟

ساعتها.. خرج الإمام علي بن الحسين زين العابدين.. خرج متألماً وهو يسمع استغاثة أبيه.. خرج يتوكأ على العصا ويجر سيفه.. لفرط مرضه، فلما رآه الحسين أخبر أم كلثوم أن ترده لخيمته: لئلَّا تبقى الأرض خالية من نسل آل محمد..، وزين العابدين يقول لعمته: ذريني أقاتل بين يدي ابن رسول الله. لكنها أرجعته إلى الخيمة.

بتسارع الأحداث وقسوتها.. عزم الحسين على الخروج للميدان، فنادى بالنساء:

- يا زينب، ويا أم كلثوم، ويا فاطمة، ويا سكينة،.. عليكن مني السلام.

فأتته العلويات تطوف حوله بحسرة وألم.. خائفات.. ونادته سكينة:

- يا أبه، أَسْتَسْلَمْتَ للموت؟

- كيف لا يستسلم للموت من لا ناصر له ولا معين؟

- رُدَّنَا إلى حرم جَدِّنا رسول الله!

فبكى الحسين.. وراح خيالُهُ يجيب:

- هيهات!.. لو تُرِكَ القَطَا لَغَفَا ونام.

ودُقَّ ناقوسُ الحزن، فَاعْتَلَى الحسين صهوة جواده، وراحَ يَلْمَحُ هذه الصحراء.. ويتذكَّر أهلَ بيتِهِ جميعَهم.

يتذكر الرسول عندما كان يضع الحسين بحجره ويبكي لحاله، ويروي للناس مُصابِه عَلَناً.. يُوصيهم بنصرته.. يلعنُ قاتليه.

يتذكر والده علي بن أبي طالب.. عندما كانوا يمرون بكربلاء لحرب صفين، وحالات الجزع والبكاء التي تنتابه بِها.

يتذكر الزهراء عندما تبكي وتشهق ساعة مولد الحسين.. وتبكي معها جميع الملائكة.. تبكي رضيعها الذي سيُقتل بعد أعوام قادمة.

يتذكر الحسن وهو على فراش موته.. ويقول له بحسره: لا يوم كيومك يا أبا عبدالله.

إنه الحسين بن علي.. ذبيح آل المصطفى.. وحيداً بميدان الجراح.



أشــــلاء

هُنا صارت شفاه الريح.. تُنشِدُ سورة الآهات..

تُـنـادي الله فـي شَجَنٍ، تَـشـكو الله فـي زَمَنٍ

غدا سِبطُ النبي الهادي.. أسيرَ البيضِ والشفرات!

هُنا لَبّت هَـنَـادِيُّهُمْ.. نِـداءَ الحَـجِ لـلـمشعّر..

طافوا حولَ ذي الأوداج، فصاروا حينها حُجاج

وضَحوا حينها فخراً.. بِحدِّ السيفِ بالمنحر!

هُنا داست خيول القوم.. صدراً للنبي العدنان

صـدرٌ يـلـفِـظُ القرآن، بِـلادٌ تـحتوي العِرْفان

صـدرٌ يـحـتوي سِرًّا.. بـراهُ الخـالِقُ الرحمن

وراحت كربلا تبكي.. بدمعٍ أحمر قاني

ترابُ الأرضِ ينعاها، يُناغي مُرَّ شكواها

سأبقى باكياً فيها.. كذا الجبار أوصاني



-١-

﴿وفديناه بذبحٍ عظيم﴾..

تِلكَ أحرف القران.. تنزف بالدماء!

توحي لأولي الدمعات.. آيات العزاء!

أَنْ اصبروا.،

فهنالك ذبحٌ عظيم!

سيتوّج بالأفجع.. في دنيا العزاء

هناك،

في كربلاء!

-٢-

أرادَ الحسين أن يرى البلاء،

أراد أن يرى، فتية

تشخب أنحرها بالدماء!

أراد أن يرى أطفالاً،

تركض هَلِعَةً بالصحراء!

أراد أن يرى.. جسوماً مضرجة،

عاريةً نائمةً بالعراء!

فقالَ: «كوني».. فصارت كربلاء!

-٣-

لو كانت كربلاء، صحراء قاحلة!

مدينة تبكي الحب،

مدينة لا سلطان يَحكُمُها أو ربّ،

وكمثل هذه الأمور المماثلة!

سأظل مفتونها، وعاشقها المجنون!

لأنني آمنت.. بأن الحسين،

لا يُرى بالأبصار،

لكِنَهُ يُدْرَكُ بخفيات الظنون!



الخاتمة

حاولتُ جاهداً أن أقرأ مصيبة الطف بهدوء.. لكني لم أستطع، فحروف الطف ستبقى ثاكلة ما بقي الزمن.. بُكاءاتها شجية.. تبعث بأوراقي الخشوع وآيات من الدموع.

كربلاء.. طلاسمُ حاولت فكَّها فعجزتُ..، فصارت أمراً لا تدركه الأبصار.. بل تدركه عين البصيرة.. عين القلوب الخاشعة.

مذكرات الجراح.. بابُ أحزانِها لن يُقفل، سنظل نُدْهَشُ حين قراءتها كل مرة، دموعها لا تنضب.. أحزانها لا تنضب.. فمذكرات الجراح لسانُ العاشقين طول الزمن.

عبداللطيف خالدي





المصادر التاريخية

- مقاتل الطالبيين.
- قصة كربلاء.
- معالي السبطين في أحوال الحسن والحسين.
- السيدة زينب كعبة الرزايا ورحلة البلاء العظيم.

المحتويات

مقدمة ٧

كلمة لا بُدَ مِنها ١١

مذكرات الجراح ١٥

فلْسَفَةُ البُكاء ١٧

خُذني لا أَريدُ الذَّهاب ٢١

حكاية غريب ٢٥

هُمومٌ بالصحراء ٢٩

هنا مدينة الأحزان ٣٣

جيوش حاربت اللّـه ٣٧

نواعي كربلاء، الأولى ٤١

ماء الخلود الأبدي ٤٥

سواد الليل يبكي ٤٩

عهدُ العاشقين يتجدد ٥١

يوم الواقعة بدأ ٥٥
الصلاةُ الأخيرة ٥٩
أولُ جرحٍ ٦١
وحـــــيـد ٦٥
أشـــــلاء ٦٩
حروف على جدار كربلاء ٧١
الخاتمة ٧٧
المصادر التاريخية ٧٩
المحتويات ٨١

للتواصل مع المؤلف

لآرائكم وانتقاداتكم، يرجى التواصل على البريد الإلكتروني التالي:

abdallatif_k@hotmail.com